تضافر الأساليب النحوية ودلالاتها في الآيات الدّالة على الثواب والعقاب

م.د. ميسم سمير محمد
جامعة ديالى/ كليّة التربية للعلوم الإنسانية
Smysm107@gmail.com

The Interplay of Grammatical Styles and Their Meanings in Verses Denoting Reward and Punishment

Dr. Maysam Samir Mohammed
University of Diyala/College of Education for Human Sciences

المستخلص

إنَّ للفظتي الثواب والعقاب دلالات لفظية أُخرى تدلّ عليها، كالأجر، والجنة، والعذاب، والنار؛ فالثواب هو المكافأة على الأعمال الصالحة التي تكون ثمرة جهد المرء في حياته الدُّنيا، أَمَّا اللفظ الآخر (العقاب) فيكون مكافأة على سوء الأعمال، ويكون نتيجة لمخالفة أوامر الله، وعمل ما نهي عنهُ؛ فد كمنت أهمية هذا الموضوع في بيان ما ربط الألفاظ من علاقات دلالية بحسب وجودها في التركيب، أو بوساطة السياق؛ لأَنَّ اللّغة في كتب المعاجم العربيّة ليست سوى كلمات متناثرة لا صلة تربط بينها من ناحية الدلالة.

الكلمات المفتاحية: تضافر، الأساليب، ثواب، عقاب.

Abstract

The words ((reward)) and ((punishment)) have other linguistic connotations, such as ((reward,)) ((Paradise,)) ((torment,)) and ((Hell.)) Reward is the compensation for good deeds, the fruit of one's efforts in this worldly life. Punishment, on the other hand, is the recompense for bad deeds, the consequence of disobeying God's commands and committing what He has forbidden. The importance of this topic lies in clarifying the semantic relationships that connect words based on their presence in the sentence structure or through context. This is because the language in Arabic dictionaries is often merely a collection of scattered words with no semantic connection between them.

Keywords: synergy, methods, reward, punishment.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تضافر الأساليب النحوية يُقصد به: اشتراك عِدَّة تراكيب نحوية (كالشرط، والنداء، والاستثناء، والتوكيد، التعجب)، وغيرها من أساليب النحو العربيّ وأدواته، وهذا الأسلوب الدقيق يظهر بصورة مكثفة في التعبير القُرآني والشعر العربيّ، وهذا ينتج عنهُ تكثيف عميق للبنية والدلالة داخل السياق؛ ما ينتجُ عنهُ إيصال المعنى بسهولة وفاعلية للمتلقي، وَمِمَّا يساعد أيضًا على تنوع التراكيب التي تيسر فهم النصوص، وتحقيق المعنى الإيقاعي والدلالي الدقيق.

قسمت هذا البحث على مبحثين، الأَوّل منهما كان بعنوان: (تضافر الأساليب النحوية ودلالاتها في الآيات الدّالة على الثواب)، أَمَّا المبحث الثاني فوسمتهُ بـ(تضافر الأساليب النحوية ودلالاتها في الآيات الدّالة على العقاب).

المبحث الأَوّل: تضافر الأساليب النحوية ودلالاتها في الآيات الدّالة على الثواب

إِنَّ للكلمة أثرًا كبيرًا في علم الدلالة؛ بل تمثل عنصرًا أساسيًا في هذا العلم؛ فقد ذكر العلماء ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس أَنَّ الألفاظ ترادف الكلمات في الاستعمال الشائع المألوف؛ فلا فرق بين أَنْ يُقال: أحصينا ألفاظ اللّغة أو كلمات اللغة[١].

أَمَّا فيما يخص الدلالة أو ما يُسمى بالمعنى، فإِنَّ أصحاب الدراسات اللّغوية يعنون بالدراسات الدلالية، التي تُكون على أربعة أنواع، تتمثل بـ(الدلالة الصوتية)، وهي تستمد من طبيعة الأصوات؛ فإبدال صوت مكان آخر ينتج عنهُ تغيّر في المعنى[٢]، و(الدلالة الصرفية) تكون عن طريق الصيغ الصرفية وبنيتها، وتكون امتدادًا لدراسة الدلالات[٣]، والثالثة (الدلالة النحوية) وهي خاصة في الكلمات داخل التركيب[٤]، وأخيرًا (الدلالة

المعجمية) وهي خاصة بالدلالات التي يوردها معجم الألفاظ مرتبة في لغة واحدة أو أكثر[٥].

ولكي تكون هذهِ الدلالات واضحة للألفاظ ؛ يجب علينا تدبر هذهِ الألفاظ داخل السياق القُرآني بوجهٍ عامٍ ومعناها داخل الآية بوجهٍ خاصٍ؛ أي معرفة اللفظ في كُلّ موضع ورد فيه؛ للوصول إلى دلالاته.

ولكي نعرف الآيات التي تدلّ على الثواب في القُرآن الكريم؛ يجب معرفة المعنى اللّغوي والاصطلاحي للفظة (الثواب).

فالثواب لغة: قال الخليل (ت١٧٠هـ) في باب (الثاء والباء): ((ثوب: ثاب يَثُوبُ ثُؤُوبا؛ أي: رجع بعد ذهابه...، والمثَابةُ: الذي يتوبُ إليه النَّاس، كالبيت جعلهُ اللهُ للنَّاس مَثابةً))[٦]. وقال ابن دريد (ت٣٢١هـ): ((وثاب يثوب ثوبًا، وثؤوبًا: إذا رجع، وكلّ راجع تائب))[٧]. وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): ((الثواب هو من قولنا: ثاب الرجل يثوب ثوبًا وثوبانا: رجع بعد ذهابه، وثَابَ النَّاس: اجتمعوا، وجاؤوا، وكذلك الماء إذا اجتمع في الحوض، وأَثابَ: أَقبل، والثواب: الجزاء الطاعة، وكذلك المثوبة))[٨].

نلحظ مِمَّا ذُكر أَنَّ لفظة الثواب تعني: الجزاء عن الأعمال، وكثيرًا ما ارتبطت بالخير؛ فالثواب هو الفوز العظيم جزاء عمل الخير بالجنَّة[٩].

أَمَّا **اصطلاحًا** فقد ذكرهُ أبو سهل الهروي (ت٤٣٣هـ) فقال: ((الأَجر: الثواب، وهو جزاء الطاعة))[١٠]؛ فالثواب هو الجزاء بالخير[١١]، وقيل: إنَّ الثوابت هو إعطاء ما يلائم الطبع[١٢]، وقد عرّفه الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) بأَنَّهُ: ((يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله؛ فيسمى الجزاء ثوابًا تصورًا أَنَّهُ هو، والثواب يُقال في الخير والشر؛ ولكن الأكثر المتعارف عليه في الخير))[١٣].

دلالة لفظة (الثواب) داخل النصّ القُرآني:

أولى العلماء العرب القدماء لقضية اللفظة ودلالاتها داخل السياق مكانة كبيرة؛ إذ إنَّ المعاني المعجمية لهذهِ الألفاظ يجب أَنْ تكون داخل سياق مناسب لها؛ فيكون هناك تفاعل بين اللفظة ودلالاتها داخل النصّ؛ وعليه فإنَّ للفظة (الثواب) مرادفات عبّرت عن هذهِ اللفظة تلازمها (المغفرة)، و(الأجر العظيم)، و(الجنَّة)، و(الحساب)، و(الجزاء)[١٤]؛ فَلكُلّ من هذهِ الألفاظ دلالات كثيرة يُحددها السياق والمقام الذي قيلت فيه، وما يعنينا هنا دراسة هذهِ الألفاظ تحت دلالة عامة واحدة وهي الثواب، وهذهِ الألفاظ جاءت في القُرآن على معانٍ عِدَّة، منها:

بمعنى الجزاء عن عمل طاعة، كما في قوله تعالى: ﴿**نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [سورة الكهف:٣١]؛ أي: نعم الأجر والثواب؛ فـ(نِعْمَ) هنا: فعل ماضي جامد لإنشاء المدح مبني على الفتح، أَمَّا (الثَّوابُ) ففاعل مرفوع بالضمّة بمعنى: نِعْمَ الجزاء من الله[١٥].

نلحظ هنا في النصّ القُرآني كيف أَنَّ الباري جلَّ جلاله قد أَعقبَ فعل (الثواب) بفعلين دلالاتهما النحوية شاملة للمدحِ والإحسان الذي كان جزاءهُ الجنَّة؛ فالواو في ﴿**وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ هي عاطفة لفعل الإحسان على فعل المدح؛ فالفعل (حَسُنت) فعل ماضي مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي)؛ أي الجنَّة[١٦].

فالجانب النحوي كان لَهُ أثر في المعنى الدلالي؛ فالفعل (نِعْمَ) كان ذا دلالة خُصت جزاء الطاعة بالمدحِ ألا وهي (الجنَّة)[١٧].

فالمخصوص هنا حُذِفَ، وهذا أضفى قيمة بلاغية للنصّ القُرآني؛ فالمخصوص الذي حُذف هو نفسهُ جزاء الطاعة، وهو الجنَّة، التي من أجلها أنثَ الفعل (حسن) بإضافة تاء التأنيث لَهُ.

فاللهُ جلَّ جلالهُ قد افتتح هذهِ الآية الكريمة بقوله: ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [سورة الكهف:٣١]؛ فالجُملة هنا قد افتتح باسم الإشارة؛ لما فيه من التنبيه على أَنْ المشار إليهم جديرون بما أُعطوا، و(اللام)، واللام في قوله تعالى هي لام الملك[١٨]؛ فالتمليك أَنْ يكون مدخولها مالكًا لما سبق[١٩].

و(من) أتت هنا للابتداء؛ فهي تأتي للابتداء بمكان جريان الأنهار، وذلك يتمثل في قوله تعالى: ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَار**﴾ [سورة الكهف:٣١].

وشبيه هذهِ الآية قد تقدّم في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم**﴾ [سورة التوبة:٧٢]؛ فوجه الإيثار الذي برزت الدلالة النحوية في هذهِ الآية من سورة الكهف هو في إضافة (تحت) إلى الضمير (هم) من دون ضمير (الجنات)؛ وذلك زيادة للمعنى الذي أفادته لام الملك وتوكيده[٢٠].

فهنا المعنى البلاغي الذي أفادتهُ وجود الأدوات النحوية ودلالاتها كان يتمثل بذكرهِ للخبر في الآية الكريمة الذي وعد به المؤمنين أمور عِدَّة، وهي: ذكره للتأكيد مرتين، وذكر اسم الإشارة ولام الملك، وجرّ اسم الجهة بـ(من)، وأضاف اسم الجهة إلى الضمير (هم)، والمقصود من ذلك كُلّه إغاضة المشركين لتقدير البشارة للمؤمنين أتم التقدير، وذكر بعد ذلك بأَنَّ لهم من الحلي، والذهب، والثياب الخضر، وقد خص الأخضر بالذكر؛ لأَنَّهُ الموافق للبصر، متكئين فيها على ارائك من ذهب[٢١]، وهذه هي نهاية البشارة بأَنَّهم يستحقون هذا الثواب، بقولهِ تعالى: ﴿**نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [سورة الكهف:٣١]، نلاحظ من النصّ القُرآني الذي أتت فيه لفظة الثواب أَنَّها قد اختصت

بالخير، ومن الآيات التي وردت فيها قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران:١٤٥]، وقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿**فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [سورة آل عمران:١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾ [سورة آل عمران:١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [سورة النساء:١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾ [سورة الكهف:٤٤]، فجميع هذهِ الآيات التي وردت فيها لفظة (ثواب) قد دَلَّت على الخير والنعيم الدائمة؛ فالمعنى الغالب على لفظة الثواب هو الخير.

بمعنى الوعد؛ إذ وردت لفظة (الثواب) في القُرآن الكريم بمعنى الوعد، ومنهُ قوله تعالى: ﴿**فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾ [سورة آل عمران:١٤٨]؛ فالمقصود بـ﴿**ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾ الجنّة؛ قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): ((ذكر في ثواب الآخرة الحُسن؛ تنبيهًا أَنَّ ثواب الدُّنيا بالإضافة إليها غير مُستحسن؛ لانقطاعه، ونبَّه بالآية أَنَّ من أرادَ ثواب الدُّنيا لم يحصل لَهُ ثواب الآخرة، وأَنَّ من أراد الآخرة، حصلت لَهُ الدُّنيا والآخرة معًا))[٢٢].

ففي الآية الكريمة عطف لفظة (وحُسْنَ) على لفظة (ثواب)؛ لأَنَّ الثواب الحسن ليس لَهُ جزاء سوى الجنّة، فضلًا عن استعماله الفعل (أتى)؛ دلالة على الإعلام بتعجيل

إجابة دعوتهم لحصول خيري الدُّنيا والآخرة؛ فثواب الدُّنيا هو الفتح والغنيمة، وثواب الآخرة هو ما كتب لهم حينئذ من حُسْنِ عاقبة الآخرة[٢٣].

بمعنى الزيادة في الشيء، ألفاظ الثواب في القُرآن الكريم، مثل: (الثواب، والأجر، والجزاء، والمثوبة)، تعني في السياق القُرآني الزيادة في الشيء؛ أي الزيادة في العطاء والمكافأة؛ تفضلًا من الله على الأعمال الصالحة؛ فيعدُّ هذا هو المعنى العام لهذا اللفظ، وقد يُراد بهذا اللفظ الزيادة أيضًا؛ ولكن ليست الزيادة في الخير؛ وإنَّما في الشر، وهذا يتبيّن في قولهِ تعالى: ﴿**فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ**﴾ [سورة آل عمران:١٥٣]؛ أي: زادكم غمًّا على غمٍّ؛ فالفاء هنا استئنافية[٢٤]؛ فدلالة الفاء التي أفادت الاستئناف قطعت الجُملة عَمَّا قبلها؛ فاستُأنف بها كلام جديد غير مرتبط بما ذُكِرَ في سياق الآية التي قبلها من جهة الإعراب؛ لكنَّها متصلة ومترابطة معها من جهة المعنى؛ ففي قوله تعالى: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ**﴾ [سورة آل عمران:١٥٣]؛ فالمشهد التصويري في الآية الكريمة الذي يصف هزيمة المسلمين في غزوة أُحد وفرارهم وتركهم رسول الله (ﷺ)، وعدم التفاتهم لَهُ؛ كان جزاؤهم الغمّ والحزن، وزيادة على تلك الخسارات التي كانت من جهة متمثلة بالأقاويل بالهزيمة وبقتل رسول الله (ﷺ) من جهة ثانية[٢٥]؛ فهنا كانت الفاء الاستئنافية قاطعة للكلام من جهة الإعراب[٢٦]؛ ولكن المعنى كان متصلًا متناسقًا غير قابل للتأويل.

المبحث الثاني: الأساليب النحوية ودلالاتها في الآيات الدّالة على العقاب

العقاب لغة: هو الجزاء عن الفعل؛ قال ابن منظور: ((عَقب، عَقبَ كُلّ شيء، وعقبهُ...، يقول: جزيتك بما فعلت، والجمع: العواقب، والعقب، والعقبان، أعقبهُ بطاعته؛ أي: جازاهُ))[٢٧]؛ فالعقاب هو الجزاء إزاء فعل السوء، وهو جزاء مباشر وعادل على ذنب محدد.

إنَّ الألفاظ الدّالة على العقاب في القُرآن الكريم متنوعة؛ فهي شاملة للجزاء الشديد، والعذاب، والجزاء، والتنكيل، والعذاب الأليم؛ فهناك كثير من الباحثين تناولوا العقاب وأنواع العقوبات في القُرآن الكريم، ومن هؤلاء الباحثين (نضال محمد قنبر)؛ فقد درست ألفاظ العقاب دراسة تأريخية في بحثها الموسوم بـ(أنواع العقوبات في القُرآن الكريم – سورة القمر – اختيارًا).

وقد تعددت الألفاظ، والطرائق، والوسائل التي عَذَّبَ الله بها الكافرين، وأهلكهم بها، وهنا سنسلط الضوء على بعضٍ من هذهِ الآيات؛ ولكن بطريقة لغوية ونحويّة، تجعل من المعنى القُرآني والنحو العربيّ مشهدًا تصويريًا لما حدث في أثناء وقوع العقاب، ومن هذهِ الآيات التي جاءت بها لفظة العقاب ومنبثقاتها ما يأتي:

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين**﴾ [سورة الأنعام:١١]؛ فالقول في تأويل قوله تعالى هو خطاب لرسول الله (ﷺ) أَنْ يقول لهؤلاء المكذبين بك والجاحدين حقيقة ما جئتهم به أَنْ يجولوا في بلاد المكذبين رسلهم؛ فينظروا كيف كانت نهايتهم[٢٨]؛ فالعاقبة هي إحدى اشتقاقات لفظة (العقاب).

والأسلوب المستعمل في هذهِ الآية الكريمة، الذي عكس صورة العقاب لهؤلاء المكذبين بوساطة لفظة (عاقبة) هو أسلوب الاستفهام الذي جاء بمعنى التعجب، وقد قال الدكتور أحمد محمد سليمان عن هذا الأسلوب: ((الاستفهام التعجبي منتشر بكثرة في القُرآن الكريم، والتقدير في الآية؛ أي: انظر كيف عاقب الله المكذبين بالهلاك والخزي؟ وهو استفهام خرج لمعنى التعجب؛ لأَنَّ الله عزَّ وَجَلَّ لا يستفهم؛ بل يرينا ما أحلَّهُ بالمكذبين، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدّم للتعجب والتهديد))[٢٩].

فاستعمال أسلوب الاستفهام التعجبي جعل الأمر مبهمًا لهؤلاء الكُفار؛ فهو لا يعرفون كيف انتهى الأمر بمن كذبوا الرسل والأنبياء، كذلك أضاف إلى المشهد تهويلًا وتخويفًا.

وهناك الكثير من الآيات القُرآنية التي توعد بها الله الكافرين بنهاية سوء عاقبتهم عن طريق الاستفهام، ومن هذهِ الآيات قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [سورة النمل:١٤]؛ فالغرض هنا من الاستفهام بالأداة (كيف) هو للتعجب والتهديد[٣٠]؛ فكثيرًا ما كانت دلالة لفظة (العاقبة) توحي بالتوعد بالعذاب، والتهديد، والوعيد لمن عصى أمر ربّه، كما في قوله تعالى: ﴿**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [سورة النمل:٥١]، فالخطاب هنا موجه إلى النَّبيّ (ﷺ)، وذلك بوساطة فعل الأمر (انظر)، بمعنى تبصر واعتبر؛ فهو زجر عن الأفعال القبيحة والأعمال الرديئة، فعاقبة هذهِ الأفعال الدمار والفناء الجماعي[٣١]، والتقدير لقوله تعالى هو: انظر كيف كان عاقبة مكرهم الدمار[٣٢].

ومن الأوجه المستعملة للفظة (العقاب) أَنْ يأتي بمعنى (العذاب)، وهذا المعنى هو الأكثر شيوعًا في القُرآن الكريم، ومنهُ قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ [سورة الرعد:٣٢]؛ أي: كيف كان عذابي؛ فهنا عمد إلى أسلوب الاستفهام بوساطة اسم الاستفهام (كيف)[٣٣]؛ وذلك تعظيمًا لذلك العذاب؛ فالاستفهام هنا للتهويل والتعظيم لعقاب الله للذين كفروا والذين استهزؤا بالرسل، وذلك يتضح بقولهِ تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ [سورة الرعد:٣٢].

كما هو معروف أَنَّ القُرآن الكريم انماز وخُصَ بالبلاغة؛ لذلك كانت العقوبة أو العقاب وجهًا من أوجه العذاب؛ فقد ودرت مادة (عذب) في القُرآن الكريم أكثر من ثلاثة مائة موضع، منها قوله تعالى: ﴿**فَذُوقُواْ الْعَذَابَ**﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]، وردت كفعل في ستة وعشرين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿**يُعَذِّبُ مَن يَشَاء**﴾ [سورة المائدة:٤٠]، كنوع من أنواع المشتقات وهو اسم الفاعل في ثمانية مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا**﴾ [سورة الإسراء:١٥]، وقد ورد وصف العذاب بأوصاف عِدَّة، وهي: (أليم، شديد، عظيم)، والعذاب في اللّغة يعني: الوجع الشديد[٣٤]، وهو قد انطوى إلى أوجه عِدَّة، منها: العقوبة في الدُّنيا والآخرة؛ لذلك كان هناك تبادل في الاستعمال الدلالية لهذهِ الألفاظ، فمرَّة يستعمل العقاب بمعنى العذاب، وتارة أُخرى العكس؛ ولكن الفرق بين اللفظتين هو أَنَّ (العقاب) يقتضي بظاهرهِ الجزاء على فعلهِ المعاقب؛ لأَنَّهُ من التعقيب، والعاقبة (والعذاب) ليس كذلك؛ إذ يُقال للظالم المبتدئ بالظلم: معذِّب[٣٥].

وقد استعمل الخطاب القُرآني بصيغة فعل الأمر المبني على حذف النون[٣٦]، كما في قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم**﴾ [سورة المائدة:٩٨]؛ فهذهِ الآية العظيمة من سورة المائدة أتت للمؤمنين بصيغة الأمر؛ فهي توازن بين الخوف والرجاء، وتأمر المؤمنين بضرورة اليقين بأَنَّ الله عقابهُ شديد للعصاة والمتمردين، وأَنَّهُ رحيم غفور لمن تاب وأصلح.

وأسلوب الأمر – كما هو معروف – من أنواع الإنشاء، وهو: ((صيغة تستدعي الفعل أو القول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء))[٣٧].

والأمر – كما هو معروف – أحد أنواع الكلام الذي لا يدخلهُ الصدق ولا الكذب[٣٨]، والأمر عند العرب ما إذا لم يفعلهُ المأمور بهِ سُمي المأمور به عاصيًا[٣٩].

فلهذهِ الخصائص التي اختصت بها صيغة الأمر اختص الخطاب القُرآني في هذهِ الآية الكريمة به؛ لأَنَّ النداء بالأمر الذي أتى بهذهِ الآية والآمر الإلهي الذي أتى بصيغة الوجوب والاستعلاء ألزم المشهد بوجود صيغة الأمر في الآية الكريمة، التي كان الغرض منها التهديد والوعيد؛ فالعرب تُخرج الكلام بلفظ الأمر ومعناه النهي أو التهديد(٤٠).

فلفظة (العقاب) ترددت في القُرآن الكريم تسع عشرة مرة، بين (شديد العقاب، وسريع العقاب، وعقاب أليم).

وقد أتى العقاب في القُرآن الكريم بألفاظ أُخرى، مثل: لفظة (النكال)؛ فقد وردت لفظة (النكال) بمعنى العقوبة والجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ**﴾ [سورة المائدة:٣٨]؛ فالخطاب للأُمة جميعًا؛ فهو شروع في بيان أحكام السرقة، وقد عَمد إلى أسلوب الأمر؛ وذلك لحصول القطعية في تنفيذ الحكم، وقد ذكر سيبويه في باب (الأمر والنهي) بعد أَنْ ذكر المواضع التي يختار فيها النهي ولخصها: أَنَّهُ متى يبنى الاسم على فعل الأمر؛ فذاك موضع اختيار النصب.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ فإِنَّ هذا لم يبن على الفعل، وأَمَّا في هذهِ الآية فليس بمبني عليه؛ فلا يلزم فيه اختيار النصّ، وهذا هو رأي سيبويه في توجيه قراءة هذهِ الآية وإعرابها(٤١).

قال ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ): ((وأَمَّا قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ وقوله: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ**﴾ [سورة النور:٢]؛ فإِنَّ سيبويه (رحمهُ الله) جعلَهما مبتدأين، ولم يجعل فعلا الأمر خبرين عنهما؛ لكنَّهُ

جعل الخبرين محذوفين، تقديرهما في الفرائض أو فيما فرض عليكم...، ودخلت الفاء في الخبر))[٤٢].

وقد اختار سيبويه قراءة النَّصب؛ وذلك تناسبًا مع قوّة الموقف؛ فقوَة النّصب ناسبت المشهد القضائي بالحكم على السارق؛ فقال: ((وقد قرأ أُناس: ﴿**والسَّارِقَ والسَّارِقَةَ**﴾، و﴿**الزَّانيةَ والزَّانيَ**﴾، وهو في العربيّة على ما ذكرت لك من القوّة؛ ولكن أبت العامةُ إلَّا القراءة بالرفعِ؛ وإنَّما كان الوجه في الأمر والنهي النَّصب))[٤٣].

الخاتمة:

١. تتنوع الأساليب النحوية في آيات العقاب بالقُرآن الكريم؛ لتكثيف المعنى، وتجسيد الوعيد، وأَبرز هذهِ الأساليب كان أسلوب الاستفهام، والأمر، والحذف، وغيرها من الأساليب.

٢. تنوع الألفاظ الدّالة على العقاب في اللّغة والقُرآن الكريم، ومن هذهِ الألفاظ: العقاب، والعذاب، والنكال؛ إذ كان الهدف من هذهِ الألفاظ ردع فاعلها لصلاح المجتمع.

٣. اختلفت الألفاظ الدّالة على الثواب في القُرآن الكريم؛ فقد أتى الثواب بألفاظ أُخرى، كالجزاء، والوعد، والزيادة، وغيرها من الألفاظ، وكان للسياق أثر كبير في تحديد دلالات تلك الألفاظ.

٤. كان للمشهد القُرآني أثر كبير في انتقاء الأسلوب المعبر عنه؛ وذلك بحسب شدّة الموقف ما بين الخير والشر، والجزاء والعقاب.

الهوامش

(١) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٣.
(٢) ينظر: التثقيف في اللّغة العربيّة: ٢٧٣/١.
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللّغة: ٢٥٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٢.
(٥) ينظر: التثقيف في اللّغة: ٢٧٤.
(٦) العين: ٢٤٦/٨.
(٧) جمهرة اللّغة: ٢٠٤.
(٨) لسان العرب: ٢٣٥.
(٩) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١٧/٤.
(١٠) أسفار الفصيح: ٧٥٨/٢.
(١١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٢٧١/١.
(١٢) ينظر: التعريفات: ٤٥.
(١٣) معجم مفردات ألفاظ القُرآن: ٣٥٢.
(١٤) ينظر: ألفاظ الثواب في القُرآن، مقالة.
(١٥) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ٣٨٠.
(١٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٠.
(١٧) ينظر: إعراب القُرآن للنَّحاس: ٤٥٥/٢.
(١٨) ينظر: شرح ألفية ابن مالك، ابن عثيمين: ١٥/٣.
(١٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٢/١١.
(٢٠) ينظر: تفسير التحرير والتنوير:4/ ٣١٢.
(٢١) ينظر: تفسير القرطبي: 397/10.
(٢٢) تفسير الراغب الأصفهاني: ٩٠٢/٣.
(٢٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٦٨/٤، والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ١٦١/٢.
(٢٤) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ١٦٧/٢.
(٢٥) ينظر: تفسيرالطبري: ٣٠٤/٧
(٢٦) ينظر: مغني اللّبيب: ٥٠٠.
(٢٧) لسان العرب: ٢١٥/١٠.
(٢٨) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القُرآن144/9.
(٢٩) أسلوب التعجب بين النظرية والتطبيق: ٣٦.
(٣٠) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٣٣/١٩.
(٣١) ينظر: تفسير القُرآن الكريم وإعرابه وبيانه: ٧٣١، وينظر: دراسة أسلوب الاستفهام في سورة النمل: ١٦-١٧.

(٣٢) ينظر: معاني القُرآن وإعرابه: ١٢٥.
(٣٣) ينظر: إعراب القُرآن وبيانه: ١٢٤/٥-١٢٥.
(٣٤) ينظر: لسان العرب: ٧٣/١٠.
(٣٥) ينظر: معجم الفروق اللّغوية: ٣٦٥.
(٣٦) ينظر: تفسير القرطبي: ١٢٤/٧.
(٣٧) الطراز: ٢٨١/٣.
(٣٨) ينظر: أدب الكاتب: ٤.
(٣٩) ينظر: الصاحبي: ٢٩٨.
(٤٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القُرآن: ٢٣٨/٤.
(٤١) ينظر: الكتاب: ١٤٣/١-١٧٧، وتفسير الآلوسي: ١٣٢٤.
(٤٢) ينظر: الردّ على النّحاة: ٩٧.
(٤٣) الكتاب: ١٤٤/١.

المصادر والمراجع:

القُرآن الكريم.

١. أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
٢. أسفار الفصيح، أبو سهل الهروي النحوي (ت٤٣٣ه)، تحقيق: أحمد بن سعيد قشاش، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ثمَّ طبعت كتاب، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠ه.
٣. أسلوب التعجب بين النظرية والتطبيق، أحمد بن سليمان، ط٢، د.ت.
٤. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، ط٢، ١٤١٨ه.
٥. التثقيف في اللّغة العربيّة، صادق سليمان، دار المقدد، غزة، ط١٤، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٦م.
٦. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الشؤون الثقافية، د.ط، د.ت.
٧. تفسير ابن كثير، عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل بن عُمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ه)، علّق عليه: محمد حسين شمس الدِّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩ه/١٩٩٨م.
٨. تفسير الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدِّين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠ه)، صححهُ: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٥ه/ ١٩٩٤م.
٩. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق: عبدالله شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، ١٤٢٣ه.
١٠. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام القيرواني (ت٢٠٠ه)، تحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
١١. جامع البيان عن تأويل آي القُرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠ه)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م.
١٢. جمهرة اللّغة، أبو بكر الحُسين بن دريد الأزدي (ت٣٢١ه)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٣. دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م.

١٤. الردّ على النّحاة، أحمد بن عبدالرحمن بن محمد، ابن مضـــاء، ابن عمير (ت٥٩٢ه)، د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م.
١٥. الصـــاحبي في فقه اللّغة، أحمد بن فارس بن زكرياء (ت٣٩٥ه)، دار الكتب العلميّة،ب بيروت، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٧م.
١٦. الطراز لأســـرار البلاغة، يحيى بن حمزة بن علي (ت٧٤٥ه)، المكتبة العصـــرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ه.
١٧. العين، أبو عبـدالرحمن الخليـل ابن أحمـد الفراهيـدي (ت١٧٠ه)، تحقيق: د. مهـدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، د.ط، ١٤٣١ه.
١٨. الكتاب، عمرو بن عُثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشـــر، الملقب بســـيبويه (ت١٨٠ه)، تحقيق: عبدالسَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م.
١٩. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١ه)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٦ه.
٢٠. معجم مفردات ألفاظ القُرآن، العلّامة الراغب الأصـفهاني (ت٥٠٢ه)، دار القلم، دمشـق، د.ط، د.ت.
٢١. مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشـــام الأنصـــاريّ (ت٧٦١ه)، تحقيق: د. مازن المبارك، أحمد علي حمدالله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
٢٢. مناهج البحث في اللّغة، د. تمام حَسّان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٩٠م.

References:

The Holy Qur'an.

1. Adab al-Katib (The Writer's Etiquette), Ibn Qutaybah al-Dinawari (d. 276 AH), Al-Risalah Foundation, Beirut, n.d.
2. Al-Ayn (The Eye), Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi (d. 170 AH), edited by Dr. Mahdi al-Makhzumi and Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar al-Hilal, n.d., 1431 AH.
3. Al-I'rab al-Mufassal li-Kitab Allah al-Murtal (The Detailed Parsing of the Recited Book of God), Dar al-Fikr, 2nd edition, 1418 AH.
4. Al-Kitab (The Book), Amr ibn Uthman ibn Qanbar al-Harithi, Abu Bishr, known as Sibawayh (d. 180 AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Maktabat al-Khanji, Cairo, 3rd ed., 1408 AH/1988 CE.
5. Al-Radd 'ala al-Nuhat, by Ahmad ibn Abd al-Rahman ibn Muhammad, Ibn Mada', Ibn 'Umayr (d. 592 AH), edited by Dr. Muhammad Ibrahim al-Banna, Dar al-I'tisam, 1st edition, 1399 AH/1979 CE.
6. Al-Sahibi fi Fiqh al-Lughah (The Companion in the Jurisprudence of Language), Ahmad ibn Faris ibn Zakariya (d. 395 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1418 AH/1997 CE.
7. Al-Ta'rifat (Definitions), Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad ibn Ali al-Jurjani, edited by Muhammad Siddiq al-Minshawi, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyyah, n.d.
8. Al-Tathqif fi al-Lughah al-'Arabiyyah (Education in the Arabic Language), Sadiq Sulayman, Dar al-Muqaddad, Gaza, 14th edition, 1426 AH/2006 CE.

9. Al-Tiraz li-Asrar al-Balaghah (The Style for the Secrets of Eloquence), Yahya ibn Hamza ibn Ali (d. 745 AH), Al-Maktabah al-Asriyyah, Beirut, 1st ed., 1423 AH.
10. Asfar al-Fasih (The Travels of the Eloquent), Abu Sahl al-Harawi al-Nahwi (d. 433 AH), edited by Ahmad ibn Saeed Qashash, PhD dissertation, Islamic University, Madinah, later published as a book, Islamic University, Madinah, 1st edition, 1420 AH.
11. Dalalat al-Alfaz, by Dr. Ibrahim Anis, Anglo-Egyptian Library, Cairo, n.d., 1980 CE.
12. Jamharat al-Lughah, by Abu Bakr al-Husayn ibn Duraid al-Azdi (d. 321 AH), edited by Ramzi Munir Ba'labaki, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, 1st edition, 1987 CE.
13. Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an, by Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH), edited by Abdullah Abdul-Muhsin, Dar Hajar, Cairo, 1st edition, 1422 AH/2001 CE.
14. Lisan al-Arab, Ibn Manzur (d. 711 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 1426 AH.
15. Manahij al-Bahth fi al-Lughah, Dr. Tamam Hassan, Anglo-Egyptian Library, Cairo, n.d., 1990 CE.
16. Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib, Ibn Hisham al-Ansari (d. 761 AH), edited by Dr. Mazen al-Mubarak and Ahmad Ali Hamdallah, Dar al-Fikr, Damascus, 6th ed., 1985 CE.
17. Mu'jam Mufradat Alfaz al-Qur'an, al-'Allama al-Raghib al-Isfahani (d. 502 AH), Dar al-Qalam, Damascus, n.d.
18. Tafsir al-Alusi, by Abu al-Fadl Shihab al-Din al-Sayyid Mahmud al-Alusi (d. 1270 AH), edited by Ali Abd al-Bari Atiyya, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1415 AH/1994 CE.
19. Tafsir Ibn Kathir, by Imad al-Din Abu al-Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al-Dimashqi (d. 774 AH), commentary by Muhammad Husayn Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1419 AH/1998 CE.
20. Tafsir Muqatil ibn Sulayman, by Abu al-Hasan Muqatil ibn Sulayman al-Azdi, edited by Abdullah Shahata, Dar Ihya al-Turath, Beirut, n.d., 1423 AH.
21. Tafsir Yahya ibn Sallam, by Yahya ibn Sallam al-Qayrawani (d. 200 AH), edited by Dr. Hind Shalabi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 2004 CE.
22. The Style of Exclamation: Between Theory and Application, Ahmad ibn Sulayman, 2nd edition, N.D.